بسم الله الرحمن الرحيم

يقف المسلم أمام مفترق طرق، أي الطرق يسلك ليحفظ دينه؟

و لا شك أن عليه أن يسلك الطريق التي يحصل بها تحقيق المتابعة لما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه. وهو السير على طريقة الصحابة في اتباعهم للرسول ﷺ والأخذ بالأثر. قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥].

وسبيل المؤمنين أول ما يصدق على ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم. فالخروج عن طريقهم اتباع لغير سبيل المؤمنين.

وقال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الْخُلفاء الراشدين الْمَهديين من بعدي»(١).

قال أبو حاتم بن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ: «في قوله ﷺ: «فعليكم بسنتي» عند ذكره الاختلاف الذي يكون في أمته: بيان واضح أن من واظب على السنن قال بها، ولم يعرج على غيرها من الآراء، من الفرق الناجية في القيامة، جعلنا الله منهم بمَنِّه». ثم بوَّب «في ذكر الإخبار عما يجب على المرء من لزوم سنن المصطفى ﷺ وحفظه نفسه عن كل من يأباها من أهل البدع وإن حسنوا ذلك في عينه وزينوه»اهـ(٢).

عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من يَخذلُهم حتَّى يأتي أمر الله»(٣).

قال أبو عيسى الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح، سَمعت مُحمَّد بن إسْماعيل يقول سَمعت علي بن المديني يقول، وذكر هذا الحديث عن النَّبِيﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق». فقال علي: هم أهل الحديث»(٤).

(١) حديث حسن عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٢٦، ١٢٧)، والدارمي في المقدمة، باب اتباع السنة، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، حديث رقم (٢٦٧٦)، وأبو داود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة، حديث رقم (٤٦٠٧)، وابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين، حديث رقم (٤٢،٤٥). والحديث قال الترمذي عقبه: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَدْ رَوَى نَوْرُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَ هَذَا حَدَّثَنَا بِذَلِكَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَلَّالُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ قَالُوا حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ عَنْ نَوْرِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ وَالْعِرْبَاضُ بْنُ سَارِيَةَ يُكْنَى أَبَا نَجِيحٍ وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ حُجْرِ بْنِ حُجْرٍ عَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ»اهـ، و صححه العلامة الألباني في إرواء الغليل (٨/ ١٠٧)، حديث رقم (٢٤٥٥).

(٢) صحيح ابن حبان (١ / ١٨٠).

(٣) حديث متواتر، انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٦)، ونظم المتناثر (ص٩٣).

(٤) سنن الترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء في الأئمة المُضلين، تحت الحديث رقم (٢٢٢٩). وانظر: شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ٢٤- ٢٧)، فقد نقل كلامًا للسلف في بيان أن أصحاب الحديث هم الطائفة الناجية والفرقة المنصورة، كما عقد ابن مفلح الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الآداب الشرعية (١/ ٢٣٠) فصلاً في أن أهل الحديث هم الطائفة الناجية والفرقة المنصورة.

وأفاض في نقل كلام أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين في تقرير هذا المَعنَى الدكتور ربيع بن هادي المدخلي - جزاه الله خيرًا- في كتابه «أهل الحديث هم الطائفة المنصورة»، انظر منه (ص ١٧٧- ٢٣٢).

وعن معاوية بن أبي سفيان أنه قام فينا فقال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاثٍ وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»(١).

وأخرج الترمذي عن عبد الله بن عمر قال ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا واحدة -إلا ملة واحدة- قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي».

وهذا ما عليه أهل الحديث، الذين هم أهل السنة والجماعة.

فهذه أسماؤهم: أهل الحديث، أهل السنة والجماعة، السلفيون، أتباع السلف.

أصول السلفية

وهذا الطريق يقوم على ثلاثة أصول وهي:

الأصل الأول: الإخلاص لله سبحانه وتعالى والمتابعة لرسوله ﷺ.

الأصل الثاني: لزوم الجماعة والسمع والطاعة.

الأصل الثالث: الحذر من البدع والمبتدعين.

وقد دلّ على هذه الأصول أدلة من ذلك:

عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: «وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ؛

فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا.

وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»(٢).

عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا: يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا، وَأَنْ تَنَاصَحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ؛ وَيَسْخَطُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ»(٣).

وهذه الثلاث قد نص عليها في حديث عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نضر الله امرءاً سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره، فإنه رب حامل فقه ليس بفقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث خصال لا يَغِلُّ عليهن قلب مسلم أبدا: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة

(١) حديث صحيح لغيره: وأشار بعضهم إلَى احتمال تواتره، أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٠٢)، وأبو داود في كتاب السنة، باب شرح السنة، حديث رقم (٤٥٩٧)، والآجري في الشريعة (الطبعة المُحققة) (١/ ١٣٢، تحت رقم ٣١). وصحح إسناده مُحقق جامع الأصول (١٠/ ٣٢)، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث رقم (٢٠٤)، وذكر جملة من الأحاديث تشهد له، وانظر: نظم المتناثر (ص٣٢- ٣٤).

(٢) حديث ثابت سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الجامع، باب ما جاء في إضاعة المال، وذي الوجهين، حديث رقم (١٨٦٣)، وأحمد في المسند مثله. وأخرجه مسلم في كتاب الأقضية باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، حديث رقم (١٧١٥)، دون قوله: «وَأَنْ تَنَاصَحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ».

الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط بهم من ورائهم...» الحديث وجاء هذا الحديث بأسانيد بعضها صحيحة، وبعضها حسنة وبعضها معلولة، عن جماعة من الصحابة، فهو متواتر.(١)

و هذه الخصال الثلاث قد جمعت ما يقوم به دين الناس ودنياهم.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: «لم يقع خلل في دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها»اهـ(٢).

ولا شك أن من المتابعة للشرع منابذة البدع وأهلها!

لا أقسام و لا أنواع للسلفية

السلفية هي السير على الطريق الذي كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، وهي في حقيقتها منهج حياة يسير عليه المسلم، ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢].

فلا تنحصر السلفية في طلب العلم، فلا يصح أن يقال: سلفية علمية.

ولا تنحصر السلفية في الجهاد في سبيل الله، فلا يصح أن يقال: سلفية جهادية.

ولا يقال: سلفية تقليدية، لأن السلفية هي السير على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، فهل يصح أن يقال عنه سلفية تقليدية ؟!

ولا تنسب السلفية إلى غير ما كان عليه السلف الصالح من متابعة الرسول ﷺ، فليست السلفية سلفية فلان من العلماء، أو سلفية فلان من الدعاة؛ إذ السلفية هي الإسلام الصافي، والمورد الكافي، لمن يريد ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، وهو الجماعة .

والسلفية تكفر من حكم الله تعالى ورسوله ﷺ بكفره.

وتجاهد من أمر الله تعالى ورسوله ﷺ بجهاده.

وتتولى من أمر الله تعالى ورسوله ﷺ بموالاته؛ فمن خرج عن ذلك خرج عن السلفية؛

فمن كفر من لم يكفره الله ورسوله فقد خرج عن السلفية.

ومن قاتل من لم يأمر الله ورسوله بقتاله خرج عن السلفية.

ومن تولى من لم يأمر الله ورسوله بموالاته فقد خرج عن السلفية.

فكيف تنسب السلفية إلى هؤلاء الخارجين عنها؟!

ليس كل من انتسب إلى السلفية سلفي

ومما يجدر التنبيه عليه هنا؛ أنه ليس كل من تسمى بالسلفية أو اعتزى إلى منهج أهل السنة والجماعة، أو انتسب إلى أهل الحديث كان منهم، حتى ينظر في طريقته واتباعه، ويعرض أمره وحاله وقوله على الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة وتابعيهم بإحسان فإن وافقه فهو منهم وإن خالفه فليس منهم، ويبعد ويقرب من الصراط المستقيم بحسب كثرة موافقته وكثرة مخالفته!

قال أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنا أُمرنا بالاتباع ونُدبنا إليه، ونُهينا عن الابتداع وزُجرنا عنه، وشعار أهل السنة: اتباعهم للسلف الصالح، وتركهم كل ما هو مبتدع مُحدث»اهـ.(٣)

(١) ينظر: رسالة، «دراسة حديث: نضر الله امرءاً» للشيخ عبد المحسن العباد.

(٢) مسائل الجاهلية، ضمن مجموعة التوحيد النجدية، ط السلفية، القاهرة، ١٣٧٥هـ، (ص٢٣٦- ٢٣٧).

(٣) الانتصار لأهل الحديث لأبي المظفر السمعاني بواسطة صون المنطق والكلام (ص١٥٨).

سمات السلفية

للسلفية سمات ومعالم يُعرف بها السلفي الحقيقي ممن يدّعي ذلك، ومن هذه السمات:

السمة الأولى: محل الولاء والبراء عندهم اتباع الرسول ﷺ؛

السمة الثانية : شعارهم الاتباع.

السمة الثالثة : ينتهجون الوسطية في جميع شأنهم.

السمة الرابعة : أنَّهم أهل ائتلاف واتفاق، وثبات واستقرار على الحق.

السمة الخامسة : أنهم يشتغلون بإقامة الدين بطلب العلم الشرعي وتطبيقه.

فمن خرج عن هذه السمات خرج عن السلفية!

قال قوام السنة الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وينبغي للمرء أن يَحذر مُحدثات الأمور، فإن كل مُحدثة بدعة، والسنة إنَّما هي التصديق لآثار رسول الله ﷺ وترك معارضتها بـ: كيف، ولِمَ.

والكلام والخصومات فِيّ الدين والجدال؛ مُحدث، وهو يوقع الشك فِيّ القلوب، ويَمنع من معرفة الحق و الصواب.

وليس العلم بكثرة الرواية وإنَّما هو الاتباع والاستعمال؛ يقتدي بالصحابة والتابعين وإن كان قليل العلم، ومن خالف الصحابة والتابعين فهو ضال وإن كان كثير العلم»اهـ[1].

وقال: «وذلك أنه تبين للناس أمر دينهم فعلينا الاتباع؛ لأن الدين إنَّما جاء من قِبَل الله تعالى، لَم يوضع على عقول الرجال وآرائهم، قد بيَّن الرسول ﷺ السنة لأمته وأوضحها لأصحابه، فمن خالف أصحاب رسول الله ﷺ في شيء من الدين؛ فقد ضل»اهـ[2].

فلا تنظيم لديهم و لا رئيس و لا مرشد و لا متبوع غير الرسول ﷺ.

وهم تبع للعلماء المتبعين للكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

ليس لديهم تنظيم سري، و لا بيعة داخلية.و لا لقاءات خفيه.و لا ترتيب باطني أو نحوه.و لا يخفون شيئًا عن ولاة الأمر بله عن عامة الناس!و ل ا لديهم تنظيمًا هرميًا .و لا خلايا. و لا أجنحة؛ بل هم مع ولاة الأمر وعموم المسلمين، على ما جاء في شرع الله تعالى، بالنصيحة ظاهراً وباطنًا! وقدوتهم في ذلك ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان أئمة المسلمين مثل مالك وحماد بن زيد والثوري ونحوهم إنما تكلموا بما جاءت به الرسالة وفيه الهدى والشفاء، فمن لم يكن له علم بطريق المسلمين يعتاض عنه بما عند هؤلاء، وهذا سبب ظهور البدع في كل أمة، وهو خفاء سنن المرسلين فيهم، وبذلك يقع الهلاك، ولهذا كانوا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة».

قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك».

وهذا حق؛ فإن سفينة نوح إنما ركبها من صدق المرسلين واتبعهم وأن من لم يركبها فقد كذب المرسلين.

واتباع السنة هو اتباع الرسالة التي جاءت من عند الله؛ فتابعها بمنزلة من ركب مع نوح السفينة باطنًا وظاهرًا. والمتخلف عن اتباع الرسالة بمنزلة المتخلف عن اتباع نوح عليه السلام وركوب السفينة معه.

(١) الحجة في بيان المَحجة (٢/ ٤٣٧ - ٤٣٨).

(٢) الحجة في بيان المَحجة (٢/ ٤٤٠).

وهكذا إذا تدبر المؤمن سائر مقالات الفلاسفة وغيرهم من الأمم التي فيها ضلال وكفر وجد القرآن والسنة كاشفان لأحوالهم، مبينان لحقهم، مميزان بين حق ذلك وباطله. والصحابة كانوا أعلم الخلق بذلك، كما كانوا أقوم الخلق بجهاد الكفار والمنافقين، كما قال فيهم عبد الله بن مسعود: «من كان منكم مُستنًّا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»اهـ[1].

ضوابط الإصلاح في السلفية

ومنهج الإصلاح عند أتباع السلف الصالح : أهل السنة والجماعة مضبوط بخمسة ضوابط وهي التالية:

الضابط الأول: أن موضوع الإصلاح الأول والأساس هو عبادة الله وتوحيده.

الضابط الثاني: الإصلاح يبدأ من الفرد، لا من المجتمع، و لا من الحاكم، ولا من غيره، إنما كل إنسان يبدأ بنفسه، فيصلحها وأدناه فأدناه.

الضابط الثالث: العلم قبل القول والعمل.

الضابط الرابع: أن يكون علمه على منهج السلف الصالح.

الضابط الخامس: أن يتحلى في دعوته بصفات، بينتها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السلفية.

الخاتمة نسأل الله حسنها

عن أبي العالية رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «تعلموا الإسلام؛ فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه. وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام. ولا تحرفوا الصراط يَمينًا ولا شِمالاً. وعليكم بسنة نبيكم ﷺ والذي كان عليه أصحابه - وعند الآجري: «والذي عليها أصحابه»- قبل أن يقتلوا صاحبهم، ومن قبل أن يفعلوا الذي فعلوا؛ فإنا قد قرأنا القرآن من قبل أن يقتلوا صاحبهم ومن قبل أن يفعلوا الذي فعلوا بخمس عشرة سنة، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء»[2].

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «من تعلم القرآن؛ عظمت قيمته.ومن تكلم فِي الفقه؛ نَما قدره.ومن كتب الحديث؛ قويت حجته.ومن نظر في الحساب؛ جزل رأيه.ومن لَم يصن نفسه؛ لَم ينفعه علمه»[3].

وقال ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن فِي لزوم سنته ﷺ: تَمام السلامة، وجماع الكرامة؛ لا تطفأ سرجها، ولا تدحض حججها.من لزمها عصم، ومن خالفها يذم؛ إذ هي الحصن الحصين، والركن الركين، الذي بان فضله، ومتن حبله.

من تَمسك به ساد، ومن رام خلافه باد، فالمتعلقون به أهل السعادة فِي الآجل، والمغبوطون بين الأنام فِي العاجل»[4].

والحمد لله رب العالمين، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصَّافات: ١٨٠ - ١٨١].

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ١٣٧).

(٢) أثر صحيح الإسناد: أخرجه ابن وضاح فِي البدع والنهي عنها (ص ٣٩)، وصحح إسناده مُحقق مفتاح الجنة -وفقه الله- (ص ١٣٨)، وأخرجه الآجري فِي الشريعة (١/ ١٢٤، تحت رقم ١٩)، وصحح إسناده محققه، وأخرجه ابن بطة فِي الإبانة (١/ ٣٣٨, ٢٩٩، تحت رقم ١٣٦، ٢٠٢ بنحوه مُختصرًا).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٤).

(٤) صحيح ابن حبان (الإحسان) (١/ ٨٦).

السَّلَفِيَّةُ

سَفِينَةُ نُوحٍ ﷺ مَن رَكِبَهَا نَجَا

لفضيلة الشيخ الدكتور:

محمد بن عمر بازمول

عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين قسم الكتاب والسنة

راجعها الشيخ وأذن بنشرها

دار الإمام مالك
DAR AL-IMAM MALIK
دار الإمام مالك للحديث بتونس